القضية الفلسطينية في مقالات إبراهيم العجلوني

The Palestinian Issue in Ibraheem Al-Ajlouni Articles

د. يوسف محمد عبد الله عبده*

الجامعة الأردنية، كلية الآداب، Yousef_abdoo@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/18 تاريخ القبول: 2021/03/03 تاريخ النشر: 2021/07/31

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة القضية الفلسطينية في مقالات الكاتب الأستاذ إبراهيم العجلوني، وهو من أبرز المفكرين والكتّاب الأردنيين، الذين اعتنوا وساهموا في توعية المجتمع العربي والإسلامي بخطر الصهيونية ومخططاتها الهدامة، وفضح خداعهم وألاعيبهم التي تهدف إلى طمس الهوية الثقافة العربية .

تحاول هذه الدراسة معالجة القضية الفلسطينية في مقالات العجلوني، والتي تعتبر من أهم القضايا العربية والإسلامية في الأدب العربي المعاصر، والأديب العربي وبالرغم من بعده عن أرض فلسطين، إلا أنه يقع عليه الواجب بالدفاع عنها قبل الفلسطينيين .

الكلمات المفتاحية: المقالات؛ القضية الفلسطينية؛ ابراهيم العجلوني؛ الخطر الصهيوني .

Abstract:

This study aims to read the Palestinian issue in the articles of Ibraheem Al-Ajlouni, who is one of the most prominent Jordanian thinkers and writers, who took care and contributed to educate Arab and the Islamic community about the danger of Zionism and its destructive plans. Exposing their deceit, this most importantly aimed to obliterate the identity of Arab culture.

* **المؤلف المرسل**

The study attempted to highlight the spotlight on the Palestinian issue in Al-Ajlouni articles, which is considered one of the most important Arab and Islamic issues in contemporary Arab literature, and Arab writer, despite his distance from the land of Palestine, he has a duty to defend it before the Palestinians.

Keywords: articles; Palestinian issue; Ibraheem Al- Ajlouni; The Zionism danger.

المقدمة :

تقوم فكرة الدراسة على ثلاثة محاور أساسية: إبراهيم العجلوني، القضية الفلسطينية، المقالة، مما يسمح لنا معرفة واستخلاص عناصرها، فكأن المطلوب هو: دراسة القضية الفلسطينية دراسة أدبية، على ضوء ما ورد في مقالات إبراهيم العجلوني؛ والعجلوني أديب ومفكر وطني وقومي، يؤمن بالوحدة العربية والإسلامية، السلاح الوحيد في وجه الكيان الصهيوني. والقضية الفلسطينية في معتقد العجلوني ليست قضية وطنية أو قومية أو دينية أو تاريخية بل هي كل ذلك وأكثر .

والمقالة – وشتى الفنون– رسالة في الحياة، ويجب على الأديب أن يبلغها ويوصلها بكل أمانة وصدق .

وبهذه المحاور الثلاثة، سنغوص في أعماق مقالات العجلوني، ونكشف عن أبعاد القضية الفلسطينية، والخطر الذي يهددها، بل يهدد الأمة العربية، من المؤامرة الصهيونية، التي تهدف إلى طمس الثقافة والهوية والجغرافيا، للوصول إلى مآربهم ومخططاتهم المجرمة .

وفي هذه الدراسة رصدنا القضية الفلسطينية في مقالات العجلوني من عدة مطالب وهي:

المطلب الأول: العجلوني ... العاشق والمحب لهذه الأرض الطيبة .

المطلب الثاني: تأريخ القضية الفلسطينية .

المطلب الثالث: اليهود بين القديم والحديث .

المطلب الرابع: كشف المخططات المعادية.

المطلب الخامس: الشعب المختار، والهيكل المزعوم .

المطلب السادس: الوحدة بين الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين، ومحاربة الفتنة .

المطلب السابع: الأسرى الفلسطينيون... والسلام اليهودي .

المطلب الثامن: قضية التطبيع مع الغاصب المحتل .

المطلب التاسع: العبث في المناهج الدراسية لخدمة مصالحهم .

المطلب العاشر: أشكال المقاومة .

مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها:

الخطاب الأدبي بجميع أشكاله وأجناسه يسهم في تقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس صوب الوجهة التي يرتضيها صاحب الخطاب، والمقالة من الأجناس الأدبية التي تستخدم كشكل من أشكال التعبير والتواصل يسهم من خلالها المرسل إلى تحقيق أهدافه ومقاصده، ومن الأغراض التي تحملها المقالة غرض التوعية والارشاد، ويهدف صاحبها إلى توجيه النصائح والتعليمات والإرشادات لفئة من الناس ودعوتهم للقيام بعمل معين أو تركه أو اتخاذ موقف أو تنفيذ أمر بغية الإقناع والتأثير .

فتتمثل مشكلة الدراسة في التعرف على القضية الفلسطينية وأبعادها المستمدّة من الواقع كما ظهرت في مقالات الأستاذ إبراهيم العجلوني. وما هي المحاور التي ناقشها العجلوني فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية في مقالاته ؟ وكيف أسهمت هذه المقالات في تأريخ القضية الفلسطينية ؟ وما هي أهم وأبرز أشكال المقاومة في الدفاع عن هذه القضية ؟ وما هي الأساليب والألاعيب المستخدمة من قبل اليهود في طمس القضية الفلسطينية ؟

وفن المقالة كغيره من الفنون الأدبية التي انتشر في الآونة الأخيرة نتيجة لعدة عوامل برزت جليا في الصحافة والبعثات الطلابية، بالإضافة إلى الطباعة وكذا الترجمة . وترجع أهميته إلى أنها وسيلة من وسائل نشر الثقافة، ومعالجة المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية، والتنبيه والإثارة لقضايا الفكر والاجتماع، وتعبير عن حرية الرأي، من ألوان الإبداع الأدبي .

فتكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على تاريخ القضية الفلسطينية. وكذلك إثارة الوعي على أهم ما يدور حول هذه القضيم من تهديدات ومخاوف، والتعرف على العدو اليهودي حق المعرفة وعلى أدواته وأغراضه وحيله؛ حتى نستطيع التعامل معه، ومحاولة مجابهتم بنفس السلاح الذي يستخدمونه .

وما يميز فن المقالة من بين الفنون الأخرى أنه أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على غيره من الفنون، وتداخلا معها، وأيضا لا يخفى مدى إسهام المقالة في إثراء الحياة الأدبية والثقافية والفكرية في الأردن ومعظم البلدان العربية . فهدفت هذه الدراسة إلى: تعزيز ثقافة الفهم والعقل عند العرب كما سيظهر عند مقالات العجلوني، الكشف عن أساليب اليهود القائمة على الخداع والحيلة في مقالات العجلوني، والرد على مطاعنهم، إظهار مدى تلاعب اليهود في الحقائق في سبيل تحقيق مزاعمهم .

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على أي رسالة أو دراسة تتناول موضوع: (القضية الفلسطينية في مقالات العجلوني)، وهو الموضوع الذي تنتصب هذه الدراسة لمعالجتها، إذ كان موضوعا يتناول واحدة من أوضح القضايا الاجتماعية والفكرية في مقالاته، وعلى هذا فإن الباحث سيفيد من بعض المراجع التي تتصل بهذا الموضوع سواء من قريب أو من بعيد، ومن تلك المراجع:

– دراسة يوسف محمد عبده (2020) بلاغة الحجاج في مقالات إبراهيم العجلوني، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن .

تناولت هذه الأطروحة ذكر أنواع المقالة والآليات الحجاجية المستعملة في مقالات إبراهيم العجلوني، وأوضحت مدى رؤية وثقافة العجلوني الواسعة، ونجاعة أساليبه مما كان لها دور في الاقناع والامتاع .

– دراسة رنا الناشف (2019) مقالات "وحي الافاق" لإبراهيم العجلوني: دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن .

تناولت هذه الرسالة دراسة (مقالات "وحي الافاق" لإبراهيم العجلوني: دراسة موضوعية وفنية) من ناحية موضوعية، ذكرت أنواع المقالة وتوقفت عند المقالة الأدبية النقدية، والمقالة السياسية، والمقالة الدينية، والاجتماعية، والفكرية، والفلسفية، وأوضحت مدى رؤية وثقافة العجلوني الواسعة، وخصّصت الفصل الثاني لدراسة المقالات (وحي الافاق) على المستوى اللغوي والفني، حيث بيّنت الباحثة أبرز ظواهر الأسلوبية الفنية، مما كان لها دور في الإقناع والإمتاع .

– دراسة مالك العموش (2008) إبراهيم العجلوني أديبا، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، عمان – الأردن . تناول فيه الباحث "فن المقالة عند العجلوني"، من خلال كتابه الشذرات (1999/1998) .

– دراسة سليمة هالة (2016) القضية الفلسطينية في كتابات العلّامة الجزائرية البشير الابراهيمي، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 23، جوان السنة الثامنة، الجزائر . سلّط الباحث الضوء عن المكانة التي احتلتها فلسطين في كتابات الإبراهيمي .

أما منهج البحث: فاقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الظاهرة والقضية المطروحة، ويتضمن ذلك (إيصال الأفكار، والتأثير في قناعات المخاطبين، ودفعهم إلى تبني فكرة ما بكل وسيلة مقنعة) وتحليل الشواهد من مقالات العجلوني فيما يتعلق في (القضية الفلسطينية) .

المطلب الأول: العجلوني ... العاشق والمحب لهذه الأرض الطيبة:

يعدّ الكاتب والمفكر الأردني الأستاذ إبراهيم العجلوني من الأدباء الذين ساهموا في توعية المجتمع العربي والأردني بوجه الخصوص في خطر الصهيونية ومخططاتها الهدامة، وتجلّى اهتمامه بقضية فلسطين من خلال مقالاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، فيقول في إحدى مقالاته موضحاً فلسفة الكيان اليهودي للأمة العربية والإسلامية: "إن إسرائيل لن تنسحب من أرض عربية إلا إذا ضمنت، في المقابل، امتداداً حقيقياً في الوعي والوجدان العربيين، وإلا إذا رجحت كفة ما يعود عليها من هذا الانسحاب بكفة ما يظن أنه خسران لها ورجوع عن اطماعها، إنها قد تسحب من الأرض، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون توطئة للامتداد في الانسان. الأرض، إذن!! في المنطق الاسرائيلي، مقابل الانسان"[1] .

أشغل العجلوني قلمه في خدمة قضايا الأمة، وجعل على رأسها قضيتها المحورية: قضية أولى القبلتين، قضية فلسطين، التي خصها بالمزيد من الرعاية والاهتمام فهو يعيش فيها، وتعيش فيه، يدافع عنها تارة ويؤرخ لها تارة أخرى، ويكشف زيف وخداع اليهود مرة، ويذكر أساليب التسلل الإسرائيلي للمجتمعات العربية مرة أخرى يحرض العرب والمسلمين على الذود عن حياضها، ويدعو العرب من المسلمين والمسيحيين، أن ينهضوا بواجبهم نحوها، ولا يتخاذلوا عن نصرتها بكل ما يستطيعون، فيقول: "إن ثمة دورا تاريخيا منتظرا للمسيحيين العرب على اختلاف مرجعياتهم وكنائسهم، وأن القدس تطالبهم بخطاب موحد صريح الدلالة في شأنها، تماما كما تطالب المسلمين بذلك على اختلاف بلدانهم، ومذاهبهم، وتحالفاتهم"[2] .

فعلاقة العجلوني بمجتمعه لا نفهمها بأنها انخراط بمشاكل المجتمع، بل نفهمها إحساسا صادقا مفعما بالحب والرغبة في تطور مجتمعه، وعلاقة تفاعلية يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتأثر بالوسط الاجتماعي ويتفاعل معه مما يزيد انتماؤه وإحساسه .

"فالأديب يعيش بالضرورة في مجتمع معين، ولا يمكن لإنسان أن يعيش معلقاً في الفراغ خارج حدود الزمان والمكان، ونحن نعرف أن كل مجتمع من المجتمعات ليس مجرد كتلة صماء جامدة، ولكن كل مجتمع يعيش حركة نشيطة حية ومتطورة"[3] .

لذلك شغلت القضية فكر العجلوني ومثّلت الجزء الأكبر والأكثر في كتبه ومقالاته، فما زال عاكفا على تحليل الفكر الإسرائيلي ومرجعياته وخططه وجذوره، ويفضح الممارسات الصهيونية في حق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ويكشف تزويرهم وتلاعبهم في المعاهدات والاتفاقيات معهم.

فكتب العجلوني عن قضية فلسطين مجموعة من المقالات التي تعد وثيقة تاريخية للقضية؛ لأنه بينها وبين الأردن في وقت من الأوقات، وبأي شكل من الأشكال .

ففلسطين في معتقد العجلوني ليست قضية وطنية أو قومية أو دينية أو تاريخية بل هي كل ذلك وأكثر .

تفتحت عينا العجلوني على محنة أهل فلسطين، فهو من مواليد الصريح في محافظة إربد في التاسع من أيلول عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف[4] .

فهو ابن بيئة أدبية ودينية محافظة، ومنتمية وطنياً وقومياً، جدّه من حفظة القرآن الكريم وعمل خطيبا وإماماً لجامع القرية، وكان مهتماً في مسائل الفقيه والمدح النبوي وأما أبوه كان يعمل جندياً في الجيش الأردني في القيادة العامة للقوات المسلحة[5] .

وتشكّل كتابات العجلوني "استجابته الداخلية لما يجري في خارجه ويدور من حوله، عن انفعالاته وتأملاته وخواطره، عن آلامه وآماله، عن آراءه الذاتية في الحياة والمجتمع"[6] .

فما غاب شوق فلسطين يوماً عن وجدان العجلوني، فهو يكوى من بعده عن معشوقته التي لطالما حمل لها من الحب والصدق والمودة و"ذكريات تتوالى وحلم يتجدد بأن تكون لي ثمة ركعتان . لكن القدس بعيدة أبعد مما نتصور . وهي تزداد كل يوم بعدا . واحسب اننا سنودع الحياة قبل أن نستقبل وجهها الشريف"[7] .

المطلب الثاني: تأريخ القضية الفلسطينية:

قام العجلوني بتأريخ القضية الفلسطينية في أكثر من مقالة، بعناوين مختلفة هدفت إلى أرشفة وتثبيت تاريخ هذه القضية، ومن ذلك مقالته بعنوان: (حزيران واعتبار ذوي الأبصار) وجاء فيها: "... لقد كان في الإمكان، وبقدرات العرب الذاتية عشية الرابع حزيران لعام 1967 أن نأخذ الوقائع مسارا مختلفا، لولا ما كان من مكر الماكرين وغدر الغادرين، وتمزّق المودات، وضعف الإرادات . وهي أسباب تراخى الزمن بها، وألقت بجرانها، وتركم صدأ السنين عليها، وما كان يمكن زوالها من أيسر سبيل"[8] .

يناقش العجلوني في هذا المقالة أسباب ونتائج حرب 1967 بين العرب من ناحية والعدو الصهيوني من ناحية أخرى، وأكّد من خلال مقالته على أننا "لو كنا انتبهنا قبل حزيران بحزيران، أو كنا نسّقنا جهودنا لعام واحد، على الأقل، قبله، لكانت النتائج غير النتائج، وكان المشهد السياسي في المشرق العربي، على غير ما هو عليه اليوم، مدعاة للألم وموطنا للاعتبار"[9]. فهو يدعو في هذه المقالة إلى الاستعداد والتخطيط المناسب، لمواجهة العدو الصهيوني الغاشم، وبالذات أن عدونا لا يخطو أي خطوة إلا بعد دراسة وتخطيط .

وشخّص العجلوني حال الأمة العربية والإسلامية عند المواجهة والحرب، بأنها تعمل بنظام الفزعات؛ أي على غير ترتيب وتنظيم واستعداد مسبق، "وأننا نحتشد في اللحظات الأخيرة قبل المواجهة، وأن احتشادنا غالبا ما يكون إعلاميا، لا عمليا واقعيا"[10] .

ولكننا نجد في المقابل عند العدو الاسرائيلي، استعدادا مناسبا للحدث والموقف، مخططا له من سنين طوال، "ثم لا نجدهم معنيين بشيء من الإعلان عن ذلك، إلا أن يكون تخويفا لنا أو توهينا من عزائمنا، أو إظهارا لبالغ حيرتهم واضطرابهم وخوفهم المزعوم من البحر العربي المحيط بهم من كل مكان"[11] .

وفي مقالة له بعنوان: (صفحة من تاريخ قدسنا العربية الإسلامية) يؤرخ لأهم العلماء والمشهورين في أواخر القرن الخامس الهجري، وفي ذلك يقول: "كانت القدس أواخر القرن الخامس الهجري مهوى أفئدة العلماء والتجار والمتصوفة، وكان من علمائها المشهورين الشيخ القاضي يحيى بن المفرج، والإمام الزاهد نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، وأبو المعالي مجلي ابن جميع القرشي المخزومي، والشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي"[12] .

وفي مقالة أخرى بعنوان: (فلسطين عام 1938: صورة من المازني)، يستعرض مقالة مشهورة للأديب المصري: إبراهيم عبد القادر المازني بعنوان: فلسطين لا تقهر، في عدد أكتوبر، من مجلة الرسالة عام 1938، يصف فيها ثورة فلسطين عام 1938، ومما جاء فيها: "إن فلسطين لم يعد في الإمكان قهرها وإرغامها على قبول ما تقبل، ولقد استفزها إلى هذه الثورة المجيدة ظلم أريد بها، ولا مثيل له في التاريخ"[13] .

ويعلق العجلوني متسائلا: "ماذا لو مد الله في عمر المازني ليرسم صورة فلسطين عام 2000، أيكون شيء قد تغيّر من الحقائق الفلسطينية في هذه الأعوام ؟؟

أيكون الشعب نفسه قد تغيّر، أم تكون القضية قد نقلت من حال إلى حال، وقد لحق جوهرها تغيير، أو تغيرت بأنموذجا الثائر الأحوال ؟"[14] .

ولكنه بعد هذا التساؤل، وهذا التفكر، يجيب القارئ بقوله: "لقد تبدلت الأشكال، لا ريب، واتخذ الصراع أبعادا جديدة . لكن جوهر قضية فلسطين ظل كما هو وأنموذج الفلسطيني المجاهد ظل كما هو، وإن كان يلزم لإدراك ذلك، اليوم، وعي عميق سديد وبصر حديد ... أجل وإن فلسطين – على الرغم من كل شيء– لا يمكن قهرها، أو إرغامها على ما لا تريد"[15] .

ندرك في هذه المقالة أن العمل الأدبي أكثر صدقا من كتب التاريخ؛ لأن التاريخ يكتبه المنتصرون فقط، وسيكتبونه كما يخدم مخططاتهم وأهدافهم، لذلك نجد أن العمل الأدبي بوجه عام، أكثر صدقا من كُتب التاريخ.

فالأدب كان ولا زال صورة حقيقية لحياة البشر في زمن معين، بعيدا عن مجلدات التاريخ، وسقطات المؤرخين الكبرى .

وفي مقالة أخرى بعنوان: (فصل لا ينسى من الجهاد الفلسطيني) يؤرخ لشخصية مقدسية نابلسية، دافعت بكل بسالة عن القضية الفلسطينية، وهو الأستاذ: محمد علي الطاهر "منذ أن كتب في جريدة (فتى العرب) البيروتية عام 1914 إلى أن توفاه الله سنة 1974 في بيروت، يكتب صحائف مجد عزّ نظيرها، ويدفع عن أمته وشعبه ودينه، ويقيم أنموذجا للرجولة ما أشد حاجتنا اليوم إلى تنوره، وتمثل معطياته، وتقديمه إلى الأجيال أن تميد بها أحوالنا المعجبات"[16] .

ويقول: "لقد كان محمد علي الطاهر منافحا على العروبة مدافعا عن قضاياها، وكان لجريدته (الشورى) دور بارز في التصدي لعدد كبير من الصحف اليهودية في مصر، مثل جريدة (الاتحاد الاسرائيلي) التي صدرت عام 1924، ومجلة اسرائيل التي أصدها إلبرت موصيري سنة 1920، وجريدة (صوت اليهودي) وغيرها... "[17] .

فتثبيت الشخصيات الوطنية، وتخليد رموز المقاومة، وأرشفة الأحداث الوقائع، وتدوين الأسماء والأماكن المهدمة التي هُجّر أهلها قسرا من أجل بناء المستوطنات، والأسرى الأبطال، بسبب مقاومتهم الاحتلال، يُعد واجبا تاريخيا على الأدباء العربيين قبل الفلسطينيين .

"فأرض المعركة لا تقتصر على أرض فلسطين وحدها، وربما كانت قضية المثقف داخل الأرض المحتلة أكثر وضوحاً وأقل تعقيدا من المثقف خارج الأرض، وذلك لأنه يتبين عدوه بصورة أكثر وضوحاً، وحين يتلقى الطعنة فهو يعرف اليد التي توجهها، أما المثقف خارج الأرض فحركته أكثر التواء و أقل مباشرة"[18] .

ومن أجل ذلك لابد أن ننظر لأدب القضية الفلسطينية بأنه سلاح مقاومة وليس مجرد مكان أو حدث أو شخصيات، "ولو كانت القضية قضية أشخاص لاكتفينا بكلمة تشجيع نوجهها لكل مثقف داخل الأرض المحتلة، وبالشد على يده وبإظهار تقديرنا لعمله . ولكن القضية ليست قضية أشخاص بل قضية ثورة وقضية مصير وهذا ما يفرض على كل من يدعي أو يزعم أنه مثقف أن يضع قضية الذات في مرتبة ثانوية، وأن يحاول أن يكون أميناً للثورة"[19] .

لم يحدد العجلوني شكل السجل التاريخي حول القضية الفلسطينية بشكل معيّن، فتارة يؤرخ للقضية سياسيا، وتارة يؤرخ لشخصيات القضية، ونراه في مواضع أخرى يؤرخ للقضية الفلسطينية أدبيا، ففي مقالة له بعنوان: (قرن الجهاد الفلسطيني) يذكر أن "الشاعر الكبير خليل مطران قد زار فلسطين مستهل الثلاثينيات، فكتب قصيدة له عن طولكرم وأهلها، يقول:

نفديك بالمال والأرواح يا وطنا شاعت مآثره الغرّاء في الأمم
فاسلم وعِزّ بأبناء غطارفة ما تستْدِمهُ بهم من رفعةٍ يَدُمِ
بالحزم والعزم في حل ومرتحل وَفّوك ما يقتضيه الرعي للذمم
من يستبيحك والآساد رابضة إن الثعالب لا تدنو من الأجَمِ"[20] .

وفي المقابل نجد الاحتلال الصهيوني، يفعل ما في وسعه من أجل طمس الهوية الفلسطينية، وتغييب القضية عن عقول وأذهان أبنائها –وكل العرب والمسلمين أبناؤها–، فإن كتابة المقالات، والروايات، والقصص القصيرة، والأشعار من أجل تأريخ النكبة والمقاومة وكشف ألاعيبهم، يظل السلاح القوي أمام خبث ومكر الاحتلال الغاشم .

فلابد من العناية والاهتمام بهذه الآداب وتبني مبدعيها، لأن الأدب الفلسطيني له مهمة نبيلة تكمن في المقاومة والدفاع والصمود، أمام عدو انتهك كل معاني الإنسانية والأخلاق والضمير. فكل أديب يريد أن يكتب عن القضية الفلسطينية لابد أن يكون على يقين بأنه جزء من قضية لا تنام ولا تستسلم ولا تعرف الراحة، جزء من قضية تزداد أبعادها حدة وألم مع مر السنوات، "فكلما عمق إحساس الأديب بواقعه، كلما اتسع مجال رؤيته، وأصبح بالتالي أقدر على المساهمة في الثورة والالتحام بها"[21] فلهذا تعتبر مهمة من يكتب في الأدب الفلسطيني مختلفة عن كل آداب العالم؛ لأنها سلاح معركة خالدة وحاسمة بين البقاء وعدمه، من أجل الإبقاء على القضية حية، ولتعريف الأجيال الجديدة بها، ومن أجل إذكاء نيران القضية في القلوب، كي لا تنطفئ ويُصبح الاحتلال فعلا عاديا، ويُصبح المحتل الغاصب جارا وصديقا .

المطلب الثالث: اليهود بين القديم والحديث:

تحدّث العجلوني عن الوجود اليهودي في مقالاته، من حيث أنهم أصحاب دين في العالم، فيرى أنه "مقبول، ومنظور إليه بمنظار الإنسانية، ونحن المسلمين نؤمن بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان، بل إن لنا تجربة تاريخية مع اليهود تؤكد أنهم عاشوا بين ظهرانينا، وكانوا جزءا من مجتمعنا"[22] ولكن الحديث عن الوجود الصهيوني فمسألة أخرى مختلفة . وهي محمولة في أصلها وفصلها على معنى الاقتحام المدجج "المرفوض" لعالمنا العربي الإسلامي في لحظة ضعف تاريخية أما لماذا كان هذا الاقتحام مرفوضاً، فلأن منطق الحياة يرفضه، حتى لدى الكائنات الدنيا"[23] .

والعجلوني يرفض الوجود والاقتحام اليهودي لبلادنا ويرى فيها استغلالا لثروات الأمة العربية والإسلامية، واستغلالا للضعف الذي خيّم وأطبق على الأمة .

وفي مقالة أخرى عالج علاقة اليهود مع المسلمين القدامى وبالذات عن مشاهيرهم من الفلاسفة والقادة والمفكرين فيقول " كان موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي الأشهر صديقا للقاضي الفاضل وطبيبا خاصا للناصر صلاح الدين الأيوبي، وشهدت الدولة الأيوبية عددا من الوزراء والمتنفذين اليهود . وكان لليهود حضور مشهود في حواضر الاسلام كلها، لاسيما الأندلس ومدائنها، لكن ذلك كله كان ونحن مالكون لأمورنا، قادرون عليها، غير مهزومين، ولا مسلوبين، ولا ذاهلين"[24] .

فاليهود عاشوا في المجتمعات العربية والإسلامية، وكان لهم حظ وافر في وظائف الدولة وأعمالها، في الوقت الذي كانت السيادة والقوة للمسلمين، وكان لهم حضور في عمر الدولة الإسلامية على مر العصور، ولم يكن هناك أي مشكلة في الحوار، "وكنا نحن الساعين إليه، تجاوزا لكل اختلاف بين بني البشر"[25] .

واليهود القدامى انبهروا واندهشوا بالعقل الإسلامي والعربي على مر العصور وقد كان "يهود الأندلس تلامذة في مدارس الفكر والاعتقاد الاسلامية "[26] .

ويرصد العجلوني صورا كثيرة في مقالات متعددة يُظهر فيها مدى تأثر وانبهار اليهود القدامى بالعقل والفكر العربي الإسلامي، ومن ذلك: "كان اسحق البلّاك متخصصا في تراث الغزالي، وقد

نقل كتبه (مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ميزان العمل، المنقذ من الضلال) إلى العبرية، وكان للغزالي تأثيره البالغ أيضا في موسى بن نحمان، وهلل بن شموئل، ولفي بن جرسون الذين ألّفوا على التوالي كتبهم: (شريعة الانسان، وجزاء الروح، والجهاد في سبيل الله)"[27] .

ويقول في موضع آخر: "أما نحاة اليهود فقد انتهجوا نهج النحاة العرب، على نحو لم تخرج فيه، مثلا مصطلحات كتاب اللمع لابن جناح اليهودي، عن أن تكون انعكاسا آليا لكتاب سيبويه"[28] .

و"تأثر سبينوزا في نقد التوراة بكتاب (الفصل في الملل والنحل) لابن حزم الاندلسي، ويونس بن ميمون الذي تتلمذ على ابن رشد وظل ثلاثة عشر عاماً يقرأ كتبه"[29] .

لن يسعنا المقام هنا في تتبع أشكال التأثر اليهودي بالعرب القدامى، والتلمذة على علماء الاسلام فقها وكلاما ولغة وفلسفة وأدبا وشعرا، ولكن ما يعنينا هنا "أن اليهود في عهدهم ذاك كانوا مبهورين بالعقل الإسلامي، وإننا لن نعدم من كان يستشعر منهم ما يستشعره بعضنا اليوم من عجز أمام تطور العلوم في إسرائيل وبلوغها مرحلة متقدمة . وهو أمر يظهرنا على أن ثبات الحال من المحال، وعلى أن الأيام دول، وعلى أن ما نراه اليوم بعيدا قد يكون في متناول العزمات والإرادات القوية بعد حين .على أننا أمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به اولها"[30].

المطلب الرابع: كشف المخططات المعادية:

سعى المشروع الصهيوني إلى "إلغاء ذاكرتنا التاريخية جملة وتفصيلا... وفي تدبير أن يكون وعينا سائلا يأخذ أشكال الأواني التي يصبّونه فيها في تهيئتنا، آخر المطاف، لكل ما كان خطّط له حكماء صهيون منذ عشرات السنين"[31]. فأدرك العجلوني حجم الخطر الإسرائيلي على القضية الفلسطينية من ناحية، وعلى الأمة العربية من ناحية أخرى، فأحس بواجبه تجاه هذه القضية المقدسة فرأى أنهم "في ضوء الارتهانات والاضطربات التي تكتنفهم غير قادرين وحدهم على تحديد خياراتهم المقدسة التي يريدون، وأنهم في حاجة ملحة إلى موقف عربي إسلامي موحّد، وإلى موقف أردني على وجه الخصوص"[32] .

فسارع إلى فضح الممارسات الإسرائيلية، وكشف المؤامرة التي يدبّرها الاستعمار الغربي للعرب، وينفذها الصهاينة في أرض فلسطين، التي هدفت إلى بثّ سمومهم من خلال توزيع الكتب والمؤلفات مدركاً أن "الإسرائيليين يراهنون على ضعف أساليبنا التربوية فيها، أو على إمكان أن يتسللوا من خلالها إلى عقول أبنائنا الغضة ووجداناتهم المرهفة، توطئة لنشوء جيل محايد، لا يعلم من الصراع العربي الإسرائيلي شيئاً"[33] .

لم ينفك الاحتلال الصهيوني ومنذ أوائل نشأة كيانه عن تزييف الحقائق، التي تعبر عن الارتباط المعنوي والمادي للفلسطينيين بأرضهم وتاريخهم، وفي سبيل ذلك وظّف كل امكانياته، وتدخل في النظام التعليمي وحرّفه لصالح مزاعمه، وجميع الدراسات الحديثة حول اليهودية، حتى يومنا هذا، تحمل العلامات التي لا تخطئها العين، الدالة على أصلها: الخداع، مجالات اعتذارية أو عدوانية .

واعتمدوا على كثير من الخداع والكذب في تعدّيهم على حقوق الشعب الفلسطيني، وأهمها احتلال الفكر والإنسان من خلال وضع منهاج تعليم اسرائيلي الروح والمفردات والمضامين على العرب 48، وشرقي مدينة القدس بعد احتلالها عام 67، في محاولة من الكيان الغاشم وعلى رأسها وزارة المعارف وبلدية الاحتلال في القدس، للتصدي للرواية الفلسطينية وفرض الرواية الاسرائيلية مكانها، بأساليب مختلفة ووفق سياسة الترغيب والترهيب التي تتبعها .

فما زالت محاولات اليهود في تغيير الحقائق وتزييفها، وذلك من خلال "إقناع واضعي المناهج المدرسية العربية، ولا سيما التربويين الفلسطينيين، بضرورة كتابة تاريخ مختلف للصراع الإسرائيلي العربي"[34]، حتى يستطيعوا فرض الرواية الاسرائيلية من خلال فرض المنهاج التعليمي والتربوي الاسرائيلي والذي يحمل في طياته، مشروع تزوير التاريخ وتغيير المفاهيم وتهويد الجغرافيا والحيّز الفلسطيني، اضافة للمسميات والمصطلحات العربية والفلسطينية الخاصة بهذه المدينة، وطمس الهوية العربية لها، بغرض خلق أجيال يدينون للكيان الاسرائيلي بالولاء، ويتنكّرون لشعبهم وأمتهم، لا بل في المحصلة فرضا للسيادة الاسرائيلية فلى الأراضي والقضية الفلسطينية .

ومما زاد على العجلوني الأوجاع والآلام أن هذا الجيل من العرب جاهل بالاستعمار وألاعيبه وجاهل بإسرائيل ولا يملك الخبرة في قتالها، وبالإضافة إلى أنه يفتقد إلى القومية والعاطفة الوطنية، وجاهل بالحياة، وإلى جانب كونه جيلاً في سن الغامرة وتحقيق الذات؛ لذلك مما وصفنا به أحد القادة الإسرائيليين أننا، "عرب هذا الجيل، أمة لا تقرأ، وإن أكثر ما يكون ذلك صحة، إنما يكون إزاء الاتفاقيات والمعاهدات التي سوف تتحمل مستحقاتها أو عقابيلها الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا"[35] .

ومن أول القضايا برأي الأمير شكيب أرسلان في تخلّف وتأخر المسلمين عن غيرهم، بل جعلها من أعظم أسباب تأخر المسلمين، هي: "الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميّز بين الخمر الخَلّ، وكذلك العلم الناقص، الذي هو أشد خطرا من الجهل؛ لأن الجاهل إذا قيّض الله له مرشدا عالما أطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري"[36] .

ويرى العجلوني "أن صراعنا مع الصهيونية طويل ومستمر، وهو لن ينتهي في جيلنا هذا أو في جيل قادم، فلا أقل من معرفة كيف يفكر هؤلاء الناس، وكيف يدبرون وكيف يقررون، ولا أقل من تجاوز الظن والتخمين في شأنهم"[37]. فاهتمام الإسرائيليين ونظرتهم الشاملة، ومراهنتها الدائمة على الاحتمالات كلها وقريبها وبعيدها وممكنها أمكنها لا "تعقد صلحاً نهائياً حقيقياً مع أي طرف من الأطراف إلا إذا اطمأنت الى توافر الشروط الأمنية التالية: تدمير البنية العسكرية العربية تدميرا كاملا، وإحياء الفتن الطائفية وضمان استمرارها، وخلق نخب ثقافية عربية ملائمة للشرق الأوسط الجديد القادم، ودفع هذه النخب للسيطرة على الدوائر الأكاديمية والإعلامية في العالم العربي، الأكثر أهمية جعل الاسلام صورة فولكلورية وأيقونة تراثية على نحو يكون معه غائبا حاضرا في آن واحد"[38] .

فعمل العجلوني على "تبسيط واقع الصراع العربي الإسرائيلي أمام القارئ العادي غير المثقف، خدمة للرؤية التي يريد لسائر قومه أن يعرفوها"[39] . فالصهيونية "تتعامل مع العرب بصفة أنهم أمة واحدة، ويتعامل العرب مع اسرائيل بصفة أنهم مختارات وحارات"[40] .

وتسعى المخططات الصهيونية إلى خلق إنسان عربي خاضع ومغيب عن الهوية والقضية، يتماشى مع مشروعهم الاستيطاني، ولا تكمن أهدافهم في تحويلهم إلى مواطنين اسرائيليين، وإنما تحويلهم إلى "مجموعة مختلفة ومشوهة العادات والقيم واللغة والثقافة"[41] .

وفي الوقت الذي تسعى اسرائيل جاهدة حذرة في خدمة مخططاتها وأهدافها، وتتابع بحرص واهتمام، كل شاردة وواردة ولا تستثني في ذلك أي عنصر مهما صغر أو قلّ، ومن ذلك أنها" تضع في حسابها مشايخ قم والنجف الأشرف، وقدرات باكستان النووية... ، وتدريبات الشبيبة السورية، ومظاهرات الطلبة المصرين، وأخر تصريحات مسلمي الجزائر، واخر مقالة لهذا الكاتب أو ذاك، وعدد المصلين في مساجد القدس، وعند المجلات العروبية والإسلامية في الأردن، ومستوى الأفلام السينمائية التي تعرض في العواصم العربية"[42] .

في المقابل نجد العرب ما زالوا يتعاملون مع القضية الفلسطينية بكل هدوء ودم بارد ، وكأنّ الأمر لا يهمهم ولا يعنينهم، وكأنه "لا علم لنا بشيء من ذلك أبدا، ونهرع إلى موتنا المبجل على نحو غريزي"[43] .

المطلب الخامس: الشعب المختار، والهيكل المزعوم:

عمل العجلوني على توضيح ومناقشة قضية الشعب المختار، فذكر في مقالاته: "إن محاولة اثبات الشعب اليهودي وتفوقه على حساب العقل والمنطق السليم والتحدث في هوس وجنون عن عظمة الأمة اليهودية، هي الوجه الآخر لما نلمسه في أيامنا هذه لدى زعامات اسرائيل من غرور وعنجهية وتناس لحقائق التاريخ... ، وأن الحق يمتلك قوته الذاتية الكفيلة بدحر كل الأباطيل"[44] .

إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره اليهود لتشجيع وحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم، وهذا المفهوم أحد الأسس الدينية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستورا لهم في الحياة[45]. والحق أن الأمم لا تتفاضل بأشكالها وأبدانها، ولكنها تتمايز وتتفاضل بفكرها وأخلاقها ونتاجها .

وما زال العجلوني عاملا مجتهدا في كشف مكر وخديعة الأساليب والمخططات والمحاولات اليهودية، لمصادرة المسجد الأقصى تحت حجة بحثهم عن أنقاض هيكل سليمان، فهم "لا يخطون خطوة، ولا يتخذون قرارا، ولا يصرحون بشيء أبدا، إلا يتدبروا ذلك كله، ويقلبوه على وجوهه كلها"[46]، فلذلك "أعدت إسرائيل خطة لمصادرة أجزاء من ساحة المسجد الأقصى، وذلك توطئة لما سيكون بعدئذٍ من بحثها عن أنقاض هيكل سليمان الذي ثبت لدى الباحثين أنه كان حلماً يهوديا"[47] .

فاليهود ما تجمعوا من كل شتات العالم بحثا عن أرض أو بلد ، "وإنما جاؤوا لعقيدة صهيونية، ونبوءة توراتية يسعون لتحقيقها، والسيطرة على القدس، والتي أسموها: أرض الميعاد، وبعدها يهدمون المسجد الأقصى ويبنون هيكلهم المزعوم، وبعد هذا البناء ينتظرون خروج مسيحهم المنتظر، ويحكم فيهم بالشريعة اليهودية"[48].

فقضية بناء الهيكل لم يعد حلما كما ذكره العجلوني قبل عشرين عاما، بل إن الصهاينة قد سعوا بخطوات عملية ماكرة لتحقيق بناء الهيكل، ومن ذلك العمل على تهويد القدس وتغيير معالمها، وهدم المعالم العربية والإسلامية، وبناء المستوطنات والآثار اليهودية، وأعمال الحفر المستمرة؛ تمهيدا لبناء الهيكل المزعوم، "على أن نتائج البحث والحفر تذهب في اتجاه مضاد لرغبات الحالمين، وتؤكد طروء العبرانيين على أرض كنعان وعلى عاصمة فلسطين العربية أورسالم"[49].

المطلب السادس: الوحدة بين الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين، ومحاربة الفتنة:

لم يفرق العجلوني يوما بين الأردني والفلسطيني بأي شكل من الأشكال على الأرض الأردنية، وهذا دأب الأدباء والمفكرين، ونستذكر هنا أن ناصر الدين الأسد لم يفرّق بين هذين البلدين الشقيقين، وعناوين مؤلفاته خير شاهد ودليل على ذلك، نذكر منها: الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، وكتاب الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، ونلاحظ أن فكرة الإصرار على الجمع بين أدب الضفتين (الأردن وفلسطين)" جمع يدل على رؤية فنية، وموضوعية ترى ثمة تشابها كبيرا بين ظروف هذا الأدب ومحدداته واتجاهات مبدعيه"[50]، فهم لا يفصلون في حال من

الأحوال بين البلدين، وذلك ما دأب المفكرون والأدباء على ادغام وتشارك الضفتين حتى في حياتهم اليومية.

ففي مقالة له بعنوان: من هو الأردني؟ يقول: "هو كل فلسطيني، بالتحديد، ممن هجروا من ديارهم، وألقوا رحالهم شرق النهر، وبنوا، ومكثوا، وعملوا، وصابروا، ورابطوا، بل كل فلسطيني في الأرض يحب أن يرود هذا الحمى، وأن يستوطنه ويحيا فيه"[51] .

فنراه هنا لا يميّز بين الأردني والفلسطيني في الأردن، ولا يفصل بينهما في أي حال من الأحوال .

شغل مشروع الوحدة الوطنية حيّزا كبيرا في مقالات العجلوني، وشكّلت عنده حملا ثقيلا في ظل الهجمات التي تدعو إلى الفتنة والفرقة بين الأشقاء وفي مقالته المسماة (هذه الأمانة الكبرى) يقول: "لا يحق لأولئك الذي يخوضون في حديث" الأردنيين والفلسطينيين" من وراء البحار، أن يرسموا لوجداننا الوطني الموحد مساره، ولا أن يزوروا باسمه خطاباً، وأن يخولوا أنفسهم حق التشادق بما يريد وما لا يريد!! إنهم أنأى الخلق عن واقعنا الإنساني، بل هم في غطاء مما يزين هذا الواقع من مكارم الأخلاق التي إنما بعث رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ليتممها، وفي عماية مظلمة عمّا يوحد أبناء هذه البلاد من عقائد الإسلام وقيم العروبة"[52] .

ويؤكد في مقالة أخرى أن الوحدة الوطنية في الأردن "أشد قوة من أن يغمزها غامزون أو ينقض غزلها الناكثون، وهي أمانة في أعناقنا، وعهد ميثاق نسأل عنه يوم التلاق، فليكن ذلك معلوما لأولئك الغاوين جنود إبليس أجمعين"[53] .

فالأردنيون من كافة الأصول والمنابت أسرة صغيرة متحابة، فلا يمكن لأحد شق وحدتهما بفعل المصاهرة والنسب بين الشعبين الأردني والفلسطيني، وبفعل العلاقات المشتركة والتاريخ المشترك والدم الواحد المشترك "فمن حقنا أن ندفع الفتنة ونيرانها عن حياتنا وحياة أبنائنا في هذا البلد العربي الأمين، وأن لا نترك لمحاريكها ومثيريها أن يدخلوا بها علينا من أبوابها التي يعرفون، أو أن يخدعونا بما يرفلون به من ثياب الناسكين أو مسوح العلماء أو الخبراء المختصين"[54] .

ومن الصور الوحدة العربية "نجده يدافع عن حق شهدائنا الأردنيين في بقاء رفاتهم على الأرض التي اختاروها موطنٍ لهم، مؤكداً في ذلك على معاني القومية"[55]، وبيّن ذلك في مقالة له بعنوان: (ليبق شهداؤنا حيث يرقدون بسلام) يقول: "ما سمعناه عن نية – لا منطق فيها . لنقل رفات الشهداء الاردنيين الذين سقطوا على أرض فلسطين الغالية إلى أضرحة لهم، ستقام في عمان أو في غيرها من المدن، أمر يبعث على الدهشة، ويثير جملة من التساؤلات . ذلك أن عمان ليست أولى بهؤلاء الشهداء الأبرار من القدس وسائر مدن فلسطين . إنهم ما يزالون في موطنهم، وعلى الثرى الذي رواه جدودهم بدمائهم، ولا ينبغي لأحد من الخلق أن يذهب في الاجتهاد في هذه المسألة وراء ما استقر ورسخ من تقاليد هذه الأمة مع شهدائها"[56] .

المطلب السابع: الأسرى الفلسطينيون... والسلام اليهودي:

لم يغفل العجلوني في مقالاته عن الشباب الفلسطيني الأسرى في سجون الاحتلال، وما يذوقونه من ويلات وعذابات، "الذين عصبت أعينهم، وكبّلت أيديهم، وسيقوا زمرا إلى معتقلات السلام الإسرائيلي المدجّج، هؤلاء لا غيرهم، هم الذين يفترض بهم صنع سلام الأجيال، والدفاع عنه، وضمان استمراره"[57] .

فلا يحق لأي شخص كان، وتحت أي مسمى وصفة، أن يتكلم باسم هؤلاء الأسرى؛ وحدهم من يدرك معنى السلام ، ووحدهم من يشعر بهذا المعنى، "وهؤلاء، قبل غيرهم هم الذين ينبغي أن يذوقوا طعم السلام، ويستشعروا معانيه، ويتفيأوا ظلاله، إذا كان هذا السلام صادقا، فالسلام الذي لا يعرفه هؤلاء هم اسم على غير مسمى، أو هو أي شيء ممكن، إلا السلام"[58] .

ويرى العجلوني أنه لن يكون هناك سلام حقيقي من وجهة نظره مع الإسرائيليين إلا بتقديم "الحقوق الفلسطينية والعربية، وهي حقوق تاريخية لا يمكن القفز عنها بالقرارات الغامضة القابلة لشتى التأويلات"[59] .

"من أجل هذا كله نؤمن أنه ما لم يتوفر للعرب قوة رادعة ذات شأن، فإنهم لن يقدروا لا على حرب ولا على سلام . وأول ذلك أن يوحدوا صفوفهم، وأن يسيروا خلف راية واحدة"[60] .

يفهم العجلوني أن السلام مع أي قوة أو طرف آخر نقبله، ونسعى إليه بقوة وعزم، بل هو مطلب وغاية لكل سكان الأرض، ولنا في الماضي الجميل، خير شاهد ومثل، "فلقد عقدت دولة الإسلام الأولى أكثر من صلح ، فلم يترتب على ذلك أن طولب المسلمون بالتنازل عن عقائدهم أو ألزموا ثقافة السلام من أي نوع أو مناهج سلام و اقتصاد سلام؛ بل ظلوا هم المسلمين الذين عرفهم التاريخ"[61] .

أما السلام الذي تسعى إليه إسرائيل والمشروع الصهيوني، فهو مرفوض جملة وتفصيلا، فالسلام من وجهة نظرهم خطة خبيثة لمصادرة البلاد والعباد، فهي "أعدت (توكيدا منها لرغبتها في السلام مع العرب) خطة لمصادرة أجزاء من ساحة المسجد الأقصى"[62] . فمعاهدة السلام التي يدعون إليها، ما هي إلا كذب وخداع من ضمن مسلسل الخداع والدجل، فهم يسعون إلى سلام يحقق الأمن لدولتهم، ويحقق أهدافهم ومخططاتهم المخفية، "السلام مع الفلسطينيين هو الطريق لأمن إسرائيل، وتحقيق الأهداف الإسرائيلية"[63] .

لذلك جوهر الموضوع أن "التحالف الخفي/المعلن بين اللوبي الصهيوني في الكونغرس الأمريكي، وبين الليكود الإسرائيلي، يسعى إلى نسف ما يسمى بعملية السلام فيما يسمونه الشرق الأوسط، ونسميه المشرق العربي"[64] .

المطلب الثامن: قضية التطبيع مع الغاصب المحتل:

ومن القضايا التي شغلت عقل المفكر العربي، وباتت موضعاً مؤرقاً وشائكاً لا يغوص في غوره إلا من لديه الخبرة والمعرفة الكافية في تناول هذه الموضوعات الشائكة والحذرة حتى يستطيع أن يقتحم غمار الموضوع، قضية التطبيع الذي أفرد لها مقالة خاصة باسم مسألة التطبيع .

ولكن العجلوني لم يخض في مفهوم التطبيع من حيث تعريفه بألفاظ قطعية الدلالة، وإنما رسم خطوطا عريضة تمس الموضوع بصله، ووصف من يقوم بالتطبيع من العدو الصهيوني بأنه "يكوّن حربا على أمته ودينها وأخلاقها، ومن يحتكم إلى مرجعية مفهومية واعتقادية خارج المسار الحي لوجودها، هو بالضرورة غارق في التطبيع مع أعدائها، سواء أكانوا منظورين أم غير منظورين"[65] .

الصهيونية عدوّ للعرب والمسلمين، والتطبيع معها مرفوض بجميع أشكاله، مادامت إسرائيل مغتصبة لأرض فلسطين، ومادامت تهدد مصير أمتنا، وتعمل على تدمير البلاد والعباد، فلا يمكن التطبيع معها تحت الذرائع التي تقدم بين الحين والآخر ما لم تعد الأرض لأصحابها، كي تعود إلى حالتها الطبيعية، "وهي اجتهادات تعود بالتطبيع إلى معنى "الطبيعة" أي إلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها أو إلى سابق عهدها أو إلى أحوالها الطبيعية التي عرفتها أزماناً وأزماناً "[66] .

فإذا كان ولابد من التطبيع أي أن تعود الأمور إلى طبيعتها أو إلى سابق عهدها أو إلى أحوالها الطبيعية التي عرفتها، فالأولى أن يكون "التطبيع العربي العربي هو أول ما نريده، اليوم قبل غد، وما نسعى إليه حتى يكون لنا مكان تحت شمس هذا الزمان، وكل زمان عودة جميع اللاجئين وإقامة الدولة الفلسطينية، أما التطبيع فهو ما نريده بيننا نحن، أبناء العرب، وبيننا أنفسنا"[67] .

فالأولى فينا نحن العرب والمسلمين أن نتّحد مع بعضنا، وتتظافر جهودنا ضد عدو الإنسانية، الذي لا يميّز بين بلد وغيره، فنحن في نظره عدوّ واحد، فلأجل لذلك لابد أن نتصالح فيما بيننا أولا، وتتشابك أيدينا، ونتفق أن الصهيونية عدو لكل العرب والمسلمين .

المطلب التاسع: العبث في المناهج الدراسية لخدمة مصالحهم:

حذّر العجلوني في مقالات متعددة عن قضية خطيرة تتعلق في كل بيت عربي، ولابد من الانتباه "إلى أن مناهج الأكاديميات العربية قاطبة لا تكاد تخرج قيد أنملة عن تلك المناهج الغربية"[68] والعجلوني هنا ينادي بالاستفادة من المناهج الغربية ، إلا أن "المثقف العربي مدعو للاستفادة من تجاربهم ومحاولاتهم ومناهجهم ولكنه لا يستطيع الاستسلام لثقافتهم وتبنيها"[69] .

لكن اليهود يفهمون جيدا، ويدركون كيف تدار اللعبة، ويعلمون أن الحكم العسكري بكافة بنوده، والجيش بمختلف أسلحته، لا يستطيعان وحدهما تحقيق كافة أهداف الحركة الصهيونية، فلابد إذن من طريقة أخرى تعتمد على "الاقناع المستند إلى العقل، والمنطق، لتعمل إلى جانب تلك الوسائل، لذلك وضعت إسرائيل لها سياسة تعليمية تنبع من تعاليم الحركة الصهيونية"[70] .

فلذلك "إذا صعب عليهم أن يجبروا الدول العربية المحيطة على تغيير مناهجها الدراسية على نحو "تتموضع" فيه إسرائيل في وعي ووجدان الأجيال الجديدة، فإنهم، ولأكثر من سبب، سيقومون بالمساومة الشديدة على ذلك، أو على شيء يرضيهم منه، وسيُسخرون دوائر أكاديمية، غربية وشرقية، وأقلاماً، أوروبية وأمريكية و(عربية!) لكي يتم إخراج ذلك في إطار من العقلانية والموضوعية والمستقبلية التي يتطلبها جميعا الشرق الأوسط الجديد"[71] .

المطلب العاشر: أشكال المقاومة:

أكّد العجلوني في مقالاته أن أشكال المقاومة مختلفة ومتنوعة، فمنها ما يكون بالسلاح، ومنها ما يكون بالسياسة، وأخرى تكون بالإعلام الممنهج؛ فالمقاومة في معناها الواسع "المقاومة على سبيل الرفض، وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف"[72] فلا تقل أهمية الكلمة عن أهمية السلاح والبندقية، "من أجل ذلك صار لزاماً البحث في إقامة درس خاص للمفاوضين العرب في "علم الدلالة" وفي كيفية التفاوض، وفي ترجمة الاتفاقيات والتحقق من تطابق معانيها في أذهاننا وأذهان الإسرائيليين في آن"[73]، وبالذات مع العدو الصهيوني الذي يعتمد على استراتيجية التلاعب والكذب والخداع في جميع أفعاله واتفاقياته، فلابد من التحوّط والحذر من أن يخدعونا بمعسول الكلام، وهي مهمة صعبة لا بد من التصدي لها .

والمطلع على الاتفاقيات والمعاهدات بين العرب واليهود، يلاحظ أن: "جميع اتفاقيات السلام القائمة –أو المعطلة– بيننا وبين إسرائيل هي ذلك النوع الذي يشتمل في داخله على أسباب انتقاضه، وإن فيها بنودا تشبه أن تكون ألغاما مؤقتة – وعلى مراحل – لنسفها جملة وتفصيلا . ناهيك فيها ألعابا لغوية ملتبسة الدلالات، متحولة المعاني ما بين اجتماع واجتماع، أو الاستراحة القصيرة ما بين جلسة تفاوض وأخرى"[74] .

وهذا ما يتكأ ويعتمد عليه فكر العدو الصهيوني، بأننا لا نقرأ ولا نهتم ببنود الاتفاقيات والمعاهدات، بأننا "عرب هذا الجيل، أمة لا تقرأ، وإن أكثر ما يكون ذلك صحة، إنما يكون إزاء الاتفاقيات والمعاهدات التي سوف تتحمل مستحقاتها أو عقابيلها الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا"[75] .

وتفادياً لأي مشكلة ربما نقع فيها ولأخذ الحيطة والحذر كان لزاما على المفاوضين العرب أن يكونوا على دراية تامة في الملف السياسي، وبالذات ما يخص علم الدلالة وعلم الترجمة، والتحقق من صحة وتطابق المعاني بيننا وبينهم .

ونادى العجلوني في أحد مقالاته "بتأسيس جمعية عربية منه، جمعية عربية متخصصة في دراسات التوراة والتلمود وبإحياء ذلك الفرع من الدراسات الدينية المقارنة التي اهتم بها أسلافنا العظام مثل ابن تيمية وابن حزم والشهرستاني، وباستكمال ما بدأه بعض أعلامنا في الأزمنة الحديثة مثل محمد عبد الله دراز والعقاد وغيرهما، فكل ذلك، مجتمعا، كفيل بإنارة مساحة كبيرة من الخلفية التي يصدر عنها الإسرائيليون فيما يتركون ويدعون ويبرمون وينقضون، وهو جدير باهتمامنا إن كنا قلقين حقاً على مستقبل أولادنا وأحفادنا"[76].

الفكرة تقاتل بالفكرة، ومن هذا المنطلق، وحتى نتعرف على عدونا معرفة دقيقة بتاريخه، وعقائده، ومشاكله، وأحزابه، نادى العجلوني "بتدريس مادة (المجتمع اليهودي) في المعاهد والمدارس العربية"[77] .

بل نادى كذلك في موطن آخر "بتوجيه اهتمام طلبة الدراسات العليا إلى قضايا بعينها في التاريخ اليهودي، وإلى المرتكزات النفسية التي تعطي للقرار العسكري الاسرائيلي مبرراته عند اعدائنا ومن يظاهرونهم، وإلى ما شابه ذلك من أبحاث"[78].

الخاتمة:

الأديب له عين تكشف الغطاء عن روح الأمة، ويد تربط بين أجزاء شخصيتها، وهذا لا يتحقق إلا بتوفر أدباء ناضجين مسؤولين واعيين لقضايا أمتهم ومؤمنين بمعالجتها .

والكاتب والمفكر الأردني الأستاذ إبراهيم العجلوني من الأدباء الذين ساهموا في توعية المجتمع العربي والأردني بوجه الخصوص في خطر الصهيونية ومخططاتها الهدامة، وتجلّى اهتمامه بقضية فلسطين من خلال مقالاته ومؤلفاته التى كان ينشرها فى الصحف والمجلات، فشكّلت مقالاته "استجابته داخلية لما يجري في خارجه ويدور من حوله، عن انفعالاته وتأملاته وخواطره، عن آلامه وآماله، عن آراءه الذاتية في الحياة والمجتمع"[79] .

ومثّلت القضية الجزء الأكبر والأكثر في مقالات العجلوني، وما زال عاكفا على تحليل الفكر الإسرائيلي ومرجعياته وخططه وجذوره، ويفضح الممارسات الصهيونية في حق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ويكشف تزويرهم وتلاعبهم في المعاهدات والاتفاقيات معهم .

فأعمل قلمه في خدمة هذه القضية المقدسة: قضية فلسطين، فمن ناحية يكشف عن حبه وشوقه وذكرياته لهذه الأرض الطيبة، ومن ناحية أخرى يدعو إلى الوحدة بين الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين، ومحاربة كل دعوة من شأنها شق الصف وإثارة الفتنة، وتوحيد الكلمة بين المسلمين والمسيحيين ضد العدوهم الاسرائيلي، ونراه يعمل جاهدا على تأريخ القضية الفلسطينية، وأرشفة أهم الأحداث والشخصيات والأماكن، ولم يبخل قلمه في فضح الخداع والممارسات الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني، وكشف المؤامرة التي يدبّرها الاستعمار الغربي للأمة العربية والإسلامية سواء، ودعا العرب إلى معرفة كيف يفكر الكيان الصهيوني، وكيف يدبرون وكيف يقررون من خلال تأسيس المعاهد التي تعنى بالثقافة اليهودية، تدريسها في المدارس والمعاهد والجامعات، وتشجيع طلبة الدراسات العليا بالبحث في قضاياهم وتاريخهم وأهم أفكارهم الحسّاسة، وتعلّم التلمود وما يحويه من أفكار وتعاليم .

وبيّن العجلوني أن الأسرى الفلسطينيين هم وحدهم من يقبلون بالسلام أو يرفضونه، والسلام الذي لا يكون فيه استرجاع لحقوق الفلسطينيين فهو غير سلام، وناقش مسألة التطبيع مع العدو الاسرائيلي من كذا ناحية والهيكل المزعوم، والشعب المختار، وفرّق بين الوجود اليهودي الذين يعيشون فيه على الأرض العربية بهدوء وسلام، وبين الوجود الصهيوني المدجج المرفوض لعالمنا العربي الإسلامي في لحظة ضعف تاريخية، ورصد العجلوني في أكثر من موضع، مدى تأثر وانبهار اليهود القدامى بالعقل والفكر العربي الإسلامي، فاليهود عاشوا في المجتمعات العربية والإسلامية، وكانوا لهم حظ وافر في وظائف الدولة وأعمالها، في الوقت الذي كانت السيادة والقوة للمسلمين، وكان لهم حضور في عمر الدولة الإسلامية على مر العصور، وكشف مؤامرة العبث في المناهج المدرسية لطمس الهوية الفلسطينية، ويدرك العجلوني، أن قادة اليهود يعلمون أن الحكم العسكري ببنوده كافة، والجيش بمختلف أسلحته، لا يستطيعان وحدهما تحقيق أهداف الحركة الصهيونية، فلابد إذن من طريقة أخرى تعتمد على الاقناع المستند إلى العقل، والمنطق، لتعمل إلى جانب تلك الوسائل، لذلك وضعت إسرائيل لها سياسة تعليمية تنبع من تعاليم الحركة الصهيونية. وبعد ...

هي محاولة متواضعة لاستخراج هذه الدرر من أعماقها، وبيانها للناس بصورة واضحة جالية ...

هو جهد متواضع لضم مشاركتي لمشاركات الأدباء والمفكرين من قبلي لهذه القضية المقدسة ...

والله ولي التوفيق .

الهوامش:

[1] الشذرات، ابراهيم العجلوني، عمان، 2000، ج 3

[2] الشذرات ، ج 3 ، ص 455.

[3] بدر، عبد المحسن طه (1980) حول الأديب والواقع ، ط2 ، د.ن ، ص7 .

[4] العموش ، مالك (2008) ابراهيم العجلوني أديبا ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ، ص 16 .

[5] المرجع السابق ، ص 18 .

[6] الأسد ، ناصر الدين (2008) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، دار الفتح ، عمان – الأردن، ص 79 .

[7] الشذرات ج1 ، ص 186.

[8] العجلوني ، ابراهيم (2000) الشذرات ، د. ن ، عمان ، ج3 ، ص 349 .

[9] المرجع نفسه ، ص 349 .
[10] المرجع نفسه ، ص 349 .
[11] المرجع نفسه ، ص 349 .
[12] المرجع نفسه ، ص 429 .
[13] المرجع نفسه ، ص 433 .
[14] المرجع نفسه ، ص 433 .
[15] المرجع نفسه ، ص 433 .
[16] المرجع نفسه ، ص 434 .
[17] المرجع نفسه ، ص 434 .
[18] بدر، عبد المحسن طه (1980) حول الأديب والواقع ، ط2 ، د.ن ، ص80 .
[19] المرجع السابق ، ص 80 .
[20] المرجع نفسه ، ص 438 .
[21] حول الأديب والواقع ، ص 81 .
[22] الشذرات ، ج 3 ، ص 475.
[23] الشذرات ، ج 3 ، ص 475.
[24] الشذرات ، ج 1 ، ص 107.
[25] الشذرات ، ج 1 ، ص 108.
[26] الشذرات ، ج 1 ، ص 116.
[27] الشذرات ، ج 1 ، ص 116.
[28] الشذرات ، ج 1 ، ص 117 .
[29] الشذرات ، ج 1 ، ص 118 .
[30] الشذرات ، ج 1 ، ص 117 .
[31] المرجع نفسه ، ج 3 ، ص 483 .
[32] الشذرات ، ج 3 ، ص 454 .
[33] الشذرات ، ج3 ، ص 442.
[34] الشذرات ، ج 3 ، ص 448 .
[35] الشذرات ، ج3 ، ص 480.
[36] أرسلان ، شكيب (2015) لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟ ،وزارة الثقافة والفنون والتراث ، دولة قطر ، العدد 87 ، مجلة الدوحة ، ص 53 .
[37] الشذرات ، ج 1 ، ص 100 .
[38] الشذرات ، ج 1 ، ص 102.
[39] العموش ، مالك (2008) إبراهيم العجلوني أديبا ، ص 170.
[40] الشذرات ، ج 1 ، ص 101.

[41] عوض ، ياسمين (2019) الفلسطينيون وسياسات كيّ الوعيّ ، منتدى العودة الشبابي بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين ، مجلة الكترونية ، ص 13 .

[42] الشذرات ، ج 1 ، ص 102.

[43] الشذرات ، ج 1 ، ص 103.

[44] الشذرات ، ج 1 ، ص 105.

[45] انظر :كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ، روجيه جارودي .

[46] الشذرات ، ج 1 ، ص 103 .

[47] الشذرات ، ج 3 ، ص 446 .

[48] العجلان ، ابراهيم بن صالح (2010) عقيدة الهيكل ، شبكة الألوكة ، بإشراف الدكتور : سعد بن عبدالله الحميّد .

[49] الشذرات ، ج 3 ، ص 447 .

[50] خليل ، ابراهيم (2006) معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، دار مجدلاوي ، ط 1 ، عمان – الأردن ، ص 8 .

[51] الشذرات ج1 ، ص 196 .

[52] الشذرات ، ج 3 ، ص 214 .

[53] الشذرات ، ج1 ، ص 225 .

[54] الشذرات ، ج 1 ، ص 217 .

[55] العموش ، مالك (2008) إبراهيم العجلوني أديبا ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ،عمان – الأردن ، ص 170.

[56] الشذرات ، ج 1 ، ص 198 .

[57] الشذرات ، ج 1 ، ص 113.

[58] المرجع السابق ، ص 113.

[59] الشذرات ، ج 1 ، ص 128.

[60] لشذرات ، ج 1 ، ص 98.

[61] الشذرات ، ج 3 ، ص 472 .

[62] الشذرات ، ج 3 ، ص 446.

[63] الشذرات ، ج 3 ، ص 497.

[64] الشذرات ، ج 3 ، ص 452.

[65] الشذرات ، ج 1 ، ص 106.

[66] الشذرات ، ج 1 ، ص 115.

[67] الشذرات ، ج 3 ، ص 473.

[68] الشذرات ، ج 1 ، ص 122 .

[69] بدر، عبد المحسن طه (1980) حول الأديب والواقع ، ط2 ، د.ن ، ص 13.

[70] عبد المجيد ، ردينة (2012) سياسة اسرائيل التعليمية تجاه العرب في فلسطين المحتلة ، ط 1، دار المأمون للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن، ص 266 .

[71] الشذرات ، ج 3 ، ص 449 .

[72] كنفاني، غسان (1968) الأدب الفلسطيني المقاوم ، تحت الاحتلال 1948-1968 ، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت، ص 10 .

[73] الشذرات ، ج 3 ، ص 479.

[74] الشذرات ، ج 3 ، ص 479.

[75] الشذرات ، ج 3 ، ص 480.

[76] الشذرات ، ج 3 ، ص 469.

[77] الشذرات ، ج 1 ، ص 101.

[78] الشذرات ، ج 1 ، ص 101.

[79] الأسد ، ناصر الدين (2008) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، دار الفتح ، عمان – الأردن ، ص 79 .

قائمة المراجع:

01- ابراهيم العجلوني، الشذرات، عمان ، د. ن ، 2000.

02- ابراهيم خليل، معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، ط.1، 2006 .

أمين الريحاني ، القوميات، دار الريحاني ، بيروت، ط 4، 1956 .

03- العجلان، ابراهيم بن صالح، عقيدة الهيكل، بإشراف د. سعد بن عبد الله الحميّد، شبكة الألوكة، 2010

ردينة عبد المجيد، سياسة اسرائيل التعليمية تجاه العرب في فلسطين المحتلة، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط.1، 2012

04- عبد المحسن طه بدر، حول الأديب والواقع ، ط.2، (د.ن.)، 1980 .

05- غسان كنفاني ، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.1، 1968 .

06- محمود أمين العالم، الثقافة والثورة، دار الآداب، بيروت، 1970 .

07- ناصر الدين الأسد، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، دار الفتح، عمان – الأردن ، ط.1، 2008

08- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟، مجلة الدوحة، ع. 87، وزارة الثقافة والفنون والتراث،

09- دولة ق مالك العموش، ابراهيم العجلوني أديبا، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2008 .طر، 2015

10- ياسمين عوض، الفلسطينيون وسياسات كيّ الوعيّ، نشرة خاصة تصدر عن: منتدى العودة الشبابي بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين ، مجلة الكترونية ، 2019 .

http://www.badil.org/phocadownload/badilnew/publications/magazine.pdf